

وقاد الرجال من
طرف الحقل إلى الطرف
الآخر فأراهم كيف
قسمه إلى ثلاثة أقسام
متساوية ، وكيف وضع
خطوطاً تبين معالم كل
قسم من هذه الأقسام
وصاح الرجل في

سَبَاقُ الْحَصَادِ

لِلْكَاتِبِ الْإِنْجَلِيزِيِّ لِيَامْ أَوْفَلَاهِرْتِي
بِقَدَمِ الْأَسْنَانِ عَبْدِ مُحَمَّدٍ

نشوة أشبه بنشوة تلميذ المدرسة :
« لا يمكن أن يكون هناك ما هو أعدل من
هذا ، وعندما أطلق النار من مسدسي سيبدأ الجميع
العمل في لحظة واحدة ، والزوج الذي يسبق في حصده
شقته يحصل منى على ورقة من ذات الخمسة الجنيهات
وهو الفلاحون رؤوسهم ونظروا إلى الشيخ
ما كدارا نظرة الجد على الرغم من أن كل واحد منهم
كان يعتقد في نفسه سفة ذلك الشيخ الذي ينفق
خمس جنيهات على حصده حقل يمكن حصده بجنيهين
لا أكثر ؛ على أنهم لم يكونوا مع ذلك أقل من
ما كدارا نفسه اهتماماً ولهفة ، فإن الثلاثة المتفوقين
بين الحاصدين في جزيرة انفيرارا كلها قد تقدموا
إلى هذه المسابقة ، وكانوا في هذه اللحظة واقفين
عند رأس الحقل كل في شقته مستعدين للعمل ، وكان
كل منهم مستصبجاً زوجه لتجزم ما يقطع من
الشعير وتربطه وتقدم له الطعام أيضاً

أما اختيار الشقة التي يعمل فيها كل منهم
فكان عن طريق الاقتراع إذ سحب ثلاثتهم ورقة
ملفوفة من قبعة ما كدارا ، حتى إذا عرف كل
شقته وقف على رأسها منتظراً إشارة البدء في العمل ؛
وعلى أن الشمس لم تكن بعد قد بعثت بحرارتها إلى

لم يطلع الفجر إلا وقد تجمع الحاصدون في حقل
الشعير ، ذلك الحقل الكبير القائم الزوايا الذي يملكه
جيمس ما كدارا المهندس المتقاعد . وابتدى الحقل
من منحدر أحد التلال ثم يهبط في ميل خفيف
حتى ينتهي إلى طريق الشاطئ الغطى بالرمال يحيط
به سور غير مرتفع من الحجر تدات عليه رؤوس
عيدان الشعير الصفراء متكاثفة تغطيه فلا يكاد يظهر
لأحجاره من أثر ، يجبط بعضها بعضاً فتحدث حفيفاً
خفيفاً كلما هبت عليها نemat الصباح .

وكان ما كدارا نفسه — وهو شيخ أبيض
الشعر — واقفاً خارج السور في سراويله الرمادية
يلوح بعصاه متحدثاً إلى نفر قليل من الناس اجتمعوا
حوله في هذه الساعة المبكرة من النهار مدفوعين
بحب الاستطلاع ، وكانت أمارات الاهتمام بادية على
وجهه المشرب بالحمرة وهو يتحدثهم في صوت مرتفع
يقول :

« لقد مسحته يوم أمس على أدق الوسائل ؛
وأقسم بشر في أن ليس هناك من فارق ولو بوصة واحدة
بين مساحات الأقسام الثلاثة . وانظروا لقد رسمت
خطوطاً على طول الحقل حتى لا يضل أحدهم طريقه
فلتقدموا لتروا بأعينكم »

إلى امرأته في لهجة جدية خافتة ، وكان رجلاً كبيراً الهامة غليظ الأطراف والعنق ، أسود الشعر ضرب الصلع في مقدم رأسه ، وكانت جبهته شديدة البياض وخدها شديدي الاحمرار ؛ وكان كثير التقطيب يحرك حاجبيه السوداوين ، وكانت امرأته ماري قصيرة القامة نحيفة ، شاحبة الوجنتين ، تبرز أسنانها العليا إلى الخارج قليلاً على شفتيها السفلى

ووقف على رأس الشقة اليمنى « بات كونسيدن » وامرأته « كاي » ، وكانت « كاي » كبيرة الهامة مقتولة العضل ، مرقشة الوجه ، نبت على شفتيها العليا شاربان يسترعيان النظر ؛ شعرها غزير يضرب لونه إلى الصفرة القاتمة وقد تركته مرسلاً غير ممشط ، وكانت تتحدث إلى زوجها في صوت عال فيه خشونة صوت الرجال ، تميزه نغمة تنبيه عن طيب الخلق والوداعة . وكان زوجها على العكس منها رجلاً قصير القامة ، ضئيل الجسم ، بدأت التجاعيد ترسم على وجهه ولما يبلغ الأربعين بعد . وكان وجهه في وقت ما مشرباً بالحمرة الداكنة ، أما الآن فقد بدأ يعلوه الشحوب ، وقد فقد أغلب ثناياه ، وكان في هذه اللحظة واقفاً في غير اكتراث يتنسم لما كدارا ، وكانت ضالة جسمه ونحوه يخفيان ما ركب في ذلك الجسم من قوة ، ثم هز ما كدارا عصاه ، ورفع ساعده وأطلق النار من مسدسه فبدأ سباق الحصاد ؛ وبحركة واحدة ركب الرجال الثلاثة على ركبهم اليمنى كما يركع الجنود ساعة المران على إطلاق النار ، وفي نفس هذه الحركة أطبقت كفوفهم اليسرى على حزم من عيدان الشعير وارتفعت مناجل الحصد في الهواء ، ثم سمعت أصوات قطع تشبه الأصوات التي يحدتها أكل البقر الجائعة

الأرض ونسيم البحر كان لا يزال ندياً رطباً ، فان الرجال الثلاثة قد خلعوا أردبتهم إلا الأقمصنة المفتوحة الصدر ، وقد طووا أكمامهم ورفعوها إلى سافوق المرافق ، وكانت الأقمصنة مصنوعة من الصوف الرمادي ، وقد تمنطقوا بأحزمة من الصوف منسوجة باليد ؛ أما سراويلهم فكانت من قماش أبيض تدخل نهايتها تحت جوارب طويلة من الصوف بخلة رؤوسها بمختلف الألوان ، وقد اتعلموا نعالاً خفيفة من شأنها أن تقي أقدامهم وتسهل عملهم ؛ وكان ثلاثهم عاري الرؤوس ، أما نساؤهم فقد ارتدين سترات حمراء وربطن حول رؤوسهن شيلاناً صغيرة

وكانت الشقة اليسرى من نصيب ميخائيل جيل وزوجته سوزان . وكان ميخائيل رجلاً طويل القامة صلب العود قوى البنية ، أشقر شعر الرأس ، أفنى الأنف ، يحرك في استمرار فكاه الأسفل إلى الأمام وإلى الوراء ؛ وكانت عيناه الزرقاوان الصغيرتان محدقتين باستمرار إلى الأرض ، حتى لا تكاد أهدابه البيضاء الطويلة تلمس عظمتي وجنتيه كما لو كان ناعماً ، وقد وقف جامداً يحمل في يده اليمنى منجل الحصاد ممسكاً بحزامه باليسرى ، وكان يرفع أهدابه ما بين فترة وأخرى مصغياً يتوقع انطلاق المسدس ؛ وكانت امرأته تكاد تدانيه طولاً ولكنها كانت بدينة محمرة الوجه ، وكانت امرأة صموتاً وقفت في هذه اللحظة تفكر في طفلها الذي لم يتجاوز الشهر الثامن من عمره وقد تركته في البيت في عناية أمها

وكانت الشقة الوسطى من نصيب جوني بودكن ، وقد وقف متكئاً مفرشخاً يتحدث

عضلات وجهها في تقطب جدى أشبه بالرجل النهمك في حل مسألة كبيرة الخطر

ويأتى بعد « بودكن » كونسيدين وامرأته ، وقد أبدى هذا الرجل الضئيل الجسم ، بعد أن انهمك في العمل ، قوة مدهشة وخفة في الحركة تشبه خفة الجديان . وعند ما كان ساعدها النحييفان الطويلان يعملان في قطع الشمر كانت العضلات تبرز فوق ظهره كسلسلة من اللوالب المضغوطة . وكان كلما اعتمد على ركبته اليمنى ليتقدم إلى الأمام في خط الحصاد ينفرج فمه عن صوت أشبه بالأنين المقطوع ؛ وكانت امرأته التي غمر العرق جبينها تتحرك في أعقابها تحزم ما يقطع وتشجعه على العمل ضاحكة مازحة بصوتها المرتفع كعادته الخارج من أعماق قلبها

وكان آخر الثلاثة ميخائيل جيل وامرأته . وقد بدأ ميخائيل عملية الحصاد في حركة متأنية مترنة كآلة ميكانيكية تبدأ حركتها بقوة دفع خفيف . وقد مضى في عمله في خطوات متساوية لا يغيرها أبداً ولا يرفع رأسه مطلقاً ليرى إلى أين وصل منافسها ؛ وكانت يدها الطويلتان تتحركان في سكون فلا يسمع لحركتهما صوت غير صوت احتكاك أسنان المنجل لسيقان الشمر . ولم ينظر وراءه قط ليرى إذا كان قد حصد ما يكفي للجمعة واحدة ، حتى يبدأ في الجمعة الثانية ، فقد كان مقدراً جميع حركاته من قبل تقديراً صحيحاً ، فهي حركات ثابتة متماثلة دقيقة غاية في الدقة وحتى تنفسه كان شبيهاً بحركاته هادئاً لا يخرج إلا من أنفه كتنفس النائم السليم من الأمراض . وكانت امرأته تسير وراءه في مثل هدوئه تحزم الحصادات في تأن وكثير من العناية لا يبدو عليها أي أثر للانفعال أو الاجهاد

وإذ تقدم النهار أقبل الناس من كل ناحية

الحشيش المبكر في الربيع . ثم إذا بثلاث حزم صغيرة ملفوفة من الشمر ناتي على الأرض النداء بجوار السور ، وراء كل ساق مثنية من سوق الحاصدين الثلاثة حزمة منها ؛ وكانت النسوة الثلاث ينتظرن في لهفة عصبية الحصد الأولى ، فهذه الحصد قد تكون بشيراً بالنصر أو نذيراً بالهزيمة ؛ وتكونت حزمة واثنان وثلاث وأربع ... وكان جوني بودكن يخط كالجواد الثائر مائياً بالحزم التي يقطعها في غير توقف . ولم يلبث أن رفع منجله عالياً فتفل عليه صائحاً في صوت عال صيحة الانتصار يقول : « الحصد الأولى ! » فأطبقت امرأته بكتفايها ، وبدأت عملية الحزم في سرعة ومهارة تدعوان إلى الدهشة والإعجاب ، وكأنما كانت أصابعها الطويلة في أثناء هذه العملية تلعب بإبر التطريز . ولم يتوقف الحاصدان الآخران وزوجاهما لينظروا ما حدث ، فقد انتهى الحاصدون الثلاثة من قطع حصدهم الأولى ، وانهمكت زوجاتهم راكعات على ركبهن في عملية الحزم .

واستمر بودكن في الحركة العنيفة التي بدأ بها ، فلم يمض إلا قليل من الوقت حتى كان قد تقدم منافسيه بمسافة غير قصيرة ؛ وكانت ضرباته في قطع سيقان الشمر غير منتظمة فكان يترك وراءه بقايا هي أثر لعدم انتظام الضربات ، ولكن السرعة التي كان يعمل بها والقوة التي بدت في حركاته أدهشتا المراقبين أكبر الدهش ، فكانت يدها تعملان بالمنجل عمل الجبارة ، وكان جسمه الكبير يتحرك في قوة ، فكان في حركته أشبه بفيل يدب وسط إحدى الغابات . ولكن المشاهدين كانوا يرون في حركات أطرافه التي لا تبدأ توازناً لا يخلو من الجمال ؛ وكانت امرأته من وراءه تحزم في استمرار ما يحصد في سرعة تدعو كذلك إلى الإعجاب ، وقد تجمعت

فأحضرت وعاء مملوءاً بالشاي البارد وفطيرة كبيرة من الدقيق الأبيض فقطعتها قطعاً كبيرة وغطت كل قطعة منها بطبقة كثيفة من الزبد ، وقد أعدت إلي جانب ذلك أربع بيضات مسلوقة . ولم يكن لبودكن وامراته أطفال ، لهذا كان في مقدورهما أن يعيشا في شيء من السعة ، أو على الأقل كانا أرفه حالاً من أمثالهما من الفلاحين . فما وقع نظر بودكن على الطعام حتى أتى بمنجله وأقبل يأكل في شره فازدرد في لحظة ثلاث بيضات بينما امرأته التي لم تكن لتقل عنه جوعاً أكلت الرابطة ؛ ثم أقبل بودكن على الفطيرة المحملة بالزبد والشاي البارد يلتمهم الجميع بمثل السرعة التي كان يحصد بها النبات . ولم يحتاج الزوجان لأكثر من دقيقتين وثلاثة أرباع الدقيقة لالتهام كل هذه الكمية الكبيرة من الطعام والشراب . وكان الدكتور جالاغر الواقف على الشاطئ بين المراقبين يحسب الوقت مدفوعاً إلى ذلك بحب الاستطلاع ، وما انتهى الزوجان من الأكل حتى عادا يحصدان بمثل العنف الذي كانا يعملان به من قبل

وكان كونسيدن قد تساوى ببودكن في اللحظة التي استأنف فيها هذا عملية الحصد ، وبدل أن يجلس كونسيدن وامراته للطعام تناولاه على عادة مألوفة بين فلاحي انفيرارا في مثل هذه المواقع ، فكانت كابت تطعم زوجها في أثناء عمله بقطع من فطير الشوفان المدهون بالزبد ، وكانت من فترة لأخرى تناوله وعاء الشاي فيشرب منه قليلاً ، وبهذه الوسيلة كان عند انتهائه من الأكل لا يزال في مستوى بودكن ، وقد أعجب المشاهدون بما رأوه من حماسه وتبأوا له بالفوز

ولم يهتم أحد من المشاهدين بجيل وامراته فلم

ليرقبوا حركات الحاصدين . وارتفعت الشمس في كبد السماء ، واشتدت الحرارة ، وانقطع الهواء ، وجدت سيقان الشعير فلم تعد تتحرك كما كانت تتحرك في أول النهار بعمل نسيم الصباح ، بل وقفت منتصبة ثابتة أشبه برماح من الذهب تحمل أسنة من الفضة البيضاء . وكان قسم كبير من الشعير قد حصد تاركاً مكانه فراغا يزداد اتساعاً ما بين لحظة وأخرى ، وقد انتثرت فيه نقط خضراء هي نبات بعض البذور التي اختلطت ببذور الشعير عند زرعها ؛ وكان المشاهدون يتحدث بعضهم إلى بعض في أصوات مرتفعة ، ولكن ارتفاعها لم يكن ليغطي على صوت المناجل الحاصدة

وقبل أن يتصف النهار بقليل كان بودكن قد انتهى من حصد نصف شقته ، وكان صاحب الحقل قد وضع قطعة من الحجر على الخط الفاصل بين النصفين ، فما وصل بودكن إلى هذا الحجر حتى رفعه بيده عالياً وصاح :

« هذا هو الدليل على أنه لم يولد بعد في جزيرة انفيرارا رجل في مهارة جوني بودكن »

فأجاب المشاهدون الواقفون وراء السور على هذا التفاخر بصيحات التهليل . ولكن كابت كونسيدن حملت حزمة من الشعير فهزتها في الهواء وقالت بصوتها الحسن وفي لهجتها الفكاهية المهددة :

« إننا لا نزال في طليعة النهار يا بودكن الناعم اللحم . »

فارتفعت في الجو ضحكات السامعين لهذه الفكاهة . ولكن بودكن لم يجب ، فلم يكن حاد الذكاء حاضر البديهة ليقابل هذه الدعاية بمثلها . أما جيل وامراته فلم يلتفتا إلى ما حدث ، ولم يرفعا أعينهما عن عملهما وكانت امرأة بودكن أول من أعد طعام الغداء

المشاهدين يتراهنون على من سيكون الفائز . ولم تكن الالهة إلى هذه اللحظة قد بلغت حدها ، فقد كان الجميع واثقين من فوز بودكن الذي كان يتقدم منافسيه بمسافة طويلة . ولكن هذا التفوق لم يلبث أن تهدده الخطر ، فعلى الرغم من تقدمه على جيل إلى مدى بعيد كان التعب قد أخذ منه وقد بدت عليه آثاره واضحة ، وكان من أظهرها خطأ ضربات منجله ما بين فترة وأخرى ، إذ كان سنه يضرب الأرض فيخرقها ، وكان جسمه كله يتصبب عرقاً ، وشرع ينظر وراءه إلى جيل متضايقاً من صيحات المشاهدين وتهليلهم

وقبل الساعة الرابعة بقليل سقط كونسيدين فجأة مجهوداً غموره إلى ما وراء السور ، وأحاط به فريق من المشاهدين . وسقاه مستر روبرتسون القيس قليلاً من النبيذ أعاد إليه شعوره فحاول أن يعود إلى العمل ولكنه لم يستطع النهوض . فقالت إمرأته غاضبة :

« ابق حيث أنت فقد قضى عليك . وسأستأنف أنا العمل »

وشمرت المرأة ساعديها ثم حملت المنجل واندفعت إلى الحقل صائحة وشرعت تحصد في قوة وعنف . وصاح ما كدارا :

« مرحى ! مرحى ! »

ثم وجه كلامه للدكتور جالاغر ، وقد لس كتفه :

« سأعطي المرأة جائزة خاصة يا جالاغر ، فهي بعد من النسل الإيرلندي .. وإنك لتفهم ما أعني .. إنها من النسل النشيط ! »

ولكن اهتمام المشاهدين انصرف كله إلى المعركة بين بودكن وجيل . فقد ثار بودكن ثورة هائلة فبدل مجهوداً رائعاً ، واستطاع أن يتقدم تقدماً جديداً

يكن في حركاتهما ما يسترعى النظر أو يثير الهمّة ؛ على أن هذين الزوجين لم يقطعا عملهما لياً كلاً ، وكانا يقتربان في انتظام من منافسيهما ؛ وعلى الرغم من أنهما كانا لا يزالان متأخرين قليلاً عن مستوي هؤلاء ، كان يبدو عليهما النشاط الهادئ ، فكانا في هذه الساعة من النهار مثلهما عند ابتداء السباق لا يبدو عليهما أى أثر للتعب أو الاجهاد ، بينما مظاهر التعب قد أخذت تبدو على بودكن الذي أثقله الطعام الدسم ، وفي حين بدأ على كونسيدين أنه قد أخذ ينفق من قواه الاحتياطية . وإذا وصل جيل إلى الحجر الميز لخط النصف من شقته وضع منجله في هدوء وطلب من امرأته أن تحضر الطعام فأحضرتة من جانب السور وكان مكوناً من خبز الشوفان المدهون بالزبد الخفيف ، وزجاجة مملوءة باللبن الطازج وشي ، من دقيق الشوفان في قاع الزجاج ، وأكل الزوجان طعامهما على مهل ثم استراحا فترة من الوقت . فلما رأى المشاهدون ذلك بدأوا يتكلمون عليهما ، ولكنهما لم يعبأ بهذا التهمك ولم يلقيا إليه بالا . حتى إذا مرت عشرون دقيقة عادا يستأنفان عملهما ، فارتفعت في الجو عبارات السخرية وصاح شيخ عجوز :

« إنك لتلوث اسمي يا ميخائيل »

فصاح ميخائيل جيل :

« لا عليك يا أبى فإن السباق لم ينته بعد »

ثم تفل على يده وأمسك بمنجله من جديد ثم بدت على المشاهدين آثار الدهشة البالغة فقد رأوا جيل وامرأته يستأنفان عملهما بنشاط جم وسرعة هائلة ؛ وكانت حركاتهما منتظمة آلية كما كانت من قبل ولكنهما الآن كانا يعملان بضعف السرعة التي عمل بها في أول النهار ، فانقلبت صيحات الاستهزاء إلى هتاف الإعجاب ، وأخذ السادة من

يشرب حتى بلدت حواسه ، وأثقل النعاس رأسه ،
وأصبحت حركاته حركات لا شعورية ، فكان يرى
أمامه الجدار الذي ينتهي عنده السباق ويجهد في
الوصول إليه ، وشرع يحدث نفسه ، ووصل بالفعل
إلى الجدار في إحدى نهايتي خط الحصاد ، ولم يكن
عليه إلا أن يحصد الشعير على طول الجدار وينتهي
الأمر . وما هي إلا ثلاث حصدات ثم ... ثم يصبح
أمهر حاصد في أنفيرارا ... ويحصل على الورقة ذات
الخمسة جنيهات ...

وما وصل في حديثه لنفسه إلى هذا الحد حتى
اخترت صياح أذنيه صيحة التهليل والاعجاب تدوى
في الجو :

« لقد فاز جيل »

فسقط بودكن على الأرض يئن أنين الموجد
عبد الحميد صمدى القهفور

وكان جسمه الثقيل يتحرك يمنة ويسرة وإلى الراء
في خط الحصاد ، فكأنما كان يتززع عيدان الشعير
بفعل ساحر . وكان كلما انتهى من حصدة تناولتها
امراته فخرمتها . ولكن عند ما وقف بودكن في
الساعة الخامسة ونظر إلى الراء رأى جيل لا يزال
يتقدم في اطراد منتظم مخيف . وأحس بودكن فجأة
أن متاعب اليوم كله قد استولت عليه في هذه اللحظة
أحس بادى الأمر بمطش شديد ، فأرسل
امراته لتحضر له من جوار السور وعاء الشاي
الاحتياطي ، فلما عادت به شرب في شره شديد .
وكان كلما شرب ازداد شعوراً بالعطش . فصاح به
أصدقاؤه من المشاهدين محذرين ، ولكنه جن
بالعطش ، فلم يعد يبي شيئاً ، فاستمر يشرب ، وكان
قد أصبح على بضع خطوات من خط الفوز ، فنظر
إليه ذاهلاً وهو يلوح بمنجله في الهواء ، ثم عاد

إحياء أثر أدبي نفيس

وفق الأساتذة خليل محمود عساكر ومحمد عبده
عزام ونظير الاسلام الهندى في الحصول على مخطوط
قيم نادر بمكتبة الفاتح بالأساتذة فاشتغلوا بتحقيقه وضبطه
والتعليق عليه وعمل فهارس مستوفاة له ثم طبعوه على
نفقة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) طبعة علمية متقنة
في شكل أنيق مع مقدمة تحليلية ممتعة للأستاذ الجليل
أحمد أمين . والكتاب في الدفاع عن شاعر من فحول
الشعراء كثرت فيه الآراء واختلف النقاد في مذهبه
وتقدير شعره . ومؤلفه أديب ممتاز ثقة فيما يرويه ذلك
الكتاب هو : أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولى
وهو مطبوع على ورق جيد ويقع في ٣٤٠ صفحة
من القطع الكبير وثمنه ١٨ قرشاً عدا أجرة البريد
ويطلب من اللجنة ومن المكاتب الشهيرة

(١) خالتي وقصص أخرى

(٢) وكيل البريد وقصص أخرى

مجموعتان من أقاصيص زابتدرانات طاعور

ترجمته عبد اللطيف النشار

(٣) جنة فرعون وقصائد أخرى

(٤) نار موسى وقصائد أخرى

ديوانان من شعر عبد المظيف النشار

(٥) الاسكندر

رواية تاريخية عن حياة الفاتح الكبير

ترجمته عبد اللطيف النشار

تمن هذه الكتب الخمسة عشرة قروش بما في ذلك
أجرة البريد وتطلب بالبريد من صاحبها بعنوانه :
١٨ شارع الإيعادية بمحرم بك بالإسكندرية